جامعة القادسية
كلية الآداب
قسم علم الاجتماع

النظرة الداخلية والخارجية Emic/Etic للمادية الثقافية

م. حيدر علي حسن
hayderali772@yahoo.com

The View and the Emic / Etic of Cultural Materialism

٢٠٢١

النظرة الداخلية والخارجية Emic/Etic
للمادية الثقافية

م. حيدر علي حسن

hayderali772@yahoo.com

كلمات مفاتيح: المادية الثقافية، النظرة الداخلية، النظرة الخارجية

The Inner View and the Emic / Etic
of Cultural Materialism

المقدمة

شهدت الأنثروبولوجيا مراحل تطور خصوصًا في القرن العشرين، لتصبح كياناً أكاديمياً ومهنة متخصّصة عند كثير من العلماء والفلاسفة والباحثين، فعلى الرغم من أنّ الفكر الأنثروبولوجي قد ظلّ خلال العقدين الأوليين من القرن العشرين، متأثّراً إلى حدّ بعيد، بالنظريات التي سادت وتبلورت في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر، فإنّه سرعان ما تغيّر وتحوّل إلى منطلقات جديدة، نتج عنها اتّجاهات متعدّدة إزاء دراسة الإنسان وثقافته، سواء ما كان منها نظرياً أو منهجيّ و إنّ الاتجاه العلمي الذي نشط في القرن التاسع عشر، وتبلور في مجالات متعدّدة، والانثروبولوجيا كحقل متخصص في الثقافة واللغة والدين والسياسة وغيرها من التخصصات التي انطوت تحت حقل الانثروبولوجيا، كما يعد تطوراً حديثاً في تاريخ الفكر الإنساني، لاهتماماته المتداخلة والمتعددة والزوايا المختلفة التي يتعامل بها مع قضايا الإنسان والثقافة، ولم يتبلور هذا العلم كدراسة متخصصة إلا في أواخر القرن التاسع عشر حيث أصبح حقلا مستقلا عن الفلسفة الاجتماعية .

يشير البحث الى محاولة لتقديم مناقشة متكاملة للثقافة من خلال كل من المقاربات العالمية المتمثلة في المفهومين etic و emic، اذ تُعد كل من وجهات النظر العالمية والمحلية مهمة جدًا في فهم ثقافة معينة ومقارنتها بالثقافات الأخرى.

يشير التمييز الإيميكي– etic إلى الاختلاف الذي أحدثه الباحثون عبر الثقافات بين استراتيجيتين بحثيتين تقليديتين تستخدمان لدراسة الظواهر في الثقافات المختلفة، فقد تم استعارة المصطلحين "emic" و "etic" من استراتيجيتين مستخدمتين في دراسة علم اللغة (قدمهما عالم اللغة بايك).

يحاول علم الصوتيات التعرف على جميع الأصوات أو الأصوات المستخدمة في لغة واحدة في المقابل، يسعى تحليل الصوتيات إلى تحديد الأصوات المتشابهة عبر لغات مختلفة وتطوير نظام عالمي لترميز اللغة، كما يسعى الباحثون إلى تحديد الظواهر المشتركة عبر الثقافات والتي يمكن استخدامها لتحديد مجموعة من الظواهر العالمية بين جميع الثقافات .

الملخص بالعربية

يشير البحث الى محاولة لتقديم مناقشة متكاملة للثقافة من خلال كل من المقاربات العالمية المتمثلة في المفهومين etic و emic، اذ تُعد كل من وجهات النظر العالمية والمحلية مهمة جدًا في فهم ثقافة معينة ومقارنتها بالثقافات الأخرى.

يشير التمييز الإيميكي- etic إلى الاختلاف الذي أحدثه الباحثون عبر الثقافات بين استراتيجيتين بحثيتين تقليديتين تستخدمان لدراسة الظواهر في الثقافات المختلفة، فقد تم استعارة المصطلحين "emic" و "etic" من استراتيجيتين مستخدمتين في دراسة علم اللغة (قدمهما عالم اللغة بايك).

Abstract

The research points to an attempt to present an integrated discussion of culture through both the global approaches represented by the two concepts etic and emic, as both global and local perspectives are very important in understanding a particular culture and comparing it to other cultures.

The emic-etic distinction refers to the difference that cross-cultural researchers make between two traditional research strategies used to study phenomena in different cultures. The terms “emic” and “etic” were borrowed from two strategies used in the study of linguistics introduced by the linguist Pike.

اولًا: مفهوم النظرة الداخلية والنظرة الخارجية Emic/Etic للمادية الثقافية

صاغ (كينيث بايك*) المصطلحان (الداخلي–الخارجي) عام (١٩٥٤) حيث جادل بأن الأدوات المطورة لوصف السلوكيات اللغوية يمكن تكييفها مع وصف أي سلوك اجتماعي بشري، تم اشتقاقهما من كلمتي (فونيميPhonemic) وهي علم الاصوات اللغوية، اي البحث عن الاصوات المستخدمة لغةً معينة، و(فونوطيقيPhonetic) علم الدلالات اللغوية وهي دراسة تحاول الوصول الى تعميم من خلال الدراسات الفونيمية في اللغات الفردية، ومن ثم فإن (Etics) تشكل جوانب تطبق في العالم كله[١] .

تُبين (النظرة الداخلية) التي تُعبر عن الخطاب والتمثيلات المحلية أو الشعبية، (والنظرة الخارجية) الصادر عن تأويلات الباحثين أو المشاهدات الخارجية بشكل مختلف ومن وجهة نظر ابستمولولجية تطبيقية ذكيّة، وعلى أساس أستخدام هذه الثنائية بحرص وتجرد، وعلى أساس استراتيجية بحث تقوم على الفصل لا الخلط بين المعطيات النابعة من خطاب الفاعلين–الأهالي وبين تلك الآتية من الخطاب أو الملاحظة والمشاهدة الخارجية وذلك من أجل معرفة إذا كان من الممكن ان تفوق مزايا تلك الثنائية سلبياتها[٢].

يرى (كينيث بايك) ان التعارض بين النظرة (الداخلية والخارجية) على مستوى لساني بحت، مؤكداً انه نتاج مقاربتين مختلفتين أختلافاً شاسعاً، تهتم مقاربة (الداخلي) بالتعارضات ذات الصلة بالأشخاص المتحدثين، وهذا يعني انها تهتم بجوانب من اللغة محددة ثقافياً، اما مقاربة (الخارجي) فهي تركز على العمليات السمعية من دون الرجوع إلى إدراكات الاشخاص وبمعزل عن كل الخلفية الثقافية، كما تأخذ في الحسبان ما تسجله الاجهزة (الموضوعية) للملاحظة والقياس، أي أجهزة (السونوغرام*) لكن المقصود هنا بالتأكيد هو وجود وجهين لحقيقة واحدة، ان (برامج البحث) الذي يقترحه "بايك" يبدأ بمقاربة (الخارجي) بوصفه مدخلاً اوليًا وخارجيًا الى عالم اللغة بنية الوصول الى (الداخلي) الذي يبدو لـ(كينيث بايك) أنه الوحيد

---

*. كينيث لي بايك:(١٩١٢–٢٠٠٠) عالم لغويات وأنثروبولوجيا أمريكي، صاغ مصطلحي (Emic-Etic).

[١].ايمان علي مصطفى الخولي، الايكولوجية الثقافية–اسلوب منهجي، بحث في الانثروبولوجيا البيئية وتطبيقاتها، جامعة بني سويف، قسم علم الاجتماع،٢٠٠٧، ص٧٩، رسالة ماجستير غير منشورة.

[٢]. المصدر نفسه، ص٨٠.

*. هي تقنية تصويرية تستخدم الموجات الصوتية لإنتاج صور الموجات فوق الصوتية للجنين.

المتضمن لقدرة تنبؤية، كما تستند مقاربة (الداخلي) اذن الى فكرة تحكم الاشخاص في اللغة بصورة واعية أو غير واعية، وهو ما يسهل ان يُستنبط وبشكل كلاسيكي جداً، القواعد الأساسية او الرموز المضمرة في هذه اللغة، كما وترتكز النظرة (الخارجية) التي تعتمد على ملاحظات خارجية مستقلة عن الدلالات التي يحملها الفاعلون، والمشاهدة هنا تكاد مماثلة لتلك المطبقة على السلوكات الحيوانية في الواقع، فأن بايك نفسه لا يهتم كثيراً بالمقاربة او النظرة الخارجية ، فثنائية (الداخلي/ الخارجي) هي التي تعنيه أساساً، وهو يركز في المقام الأول على الداخلي في هذه الثنائية[٣].

فأن الـــ(Emic/ Etic) هو زوج من المصطلحات التي تُميز مدخلين متعارضين في دراسة المادة اللغوية، حيث ان المدخل الإيميكي هو ذلك المدخل الوظيفي لتحليل الوحدات الصوتية الصغرى حيث يضع كل الإعتبار للعلاقات الوظيفية مقيمًا نسقًا من الوحدات المتقابلة والتي تُعد اساسًا للوصف، وهو مشتق من كلمة (Phonemic) أي تحليل الوحدات الصوتية الصغرى المتجاورة، والموجودة في لغة محددة، فكل صوت داخل سياق صوتي له معنى محدد يطلق عليه فونيم، أي انه إذا حل هذا الصوت محل صوت آخر في نفس السياق الصوتي ونشأ عنه تغير في المعنى من كلمة لأخرى، فالمنطق (b,p) في كلمتي (bit,pit) يمثل فونيمين انجليزيين مختلفين لإن المتحدثين الوطنيين الانجليز يدركون اختلاف المعنى بأختلاف الحرف فهماً، من ناحية التلفظ لا يختلفان ولكنهما من حيث المعنى في قلب اللغة مختلفان، او في العربية حرفُ الهجاء (ص) يتميَّزُ عن حرف الهجاء (س) في كلمتين (صارَ– سارَ) فيكون صوت الصاد متمايزًا عن صوت السِّين لإن إختلاف الكلمتين في المعنى يرجع إلى هذا الإختلاف بين صوتي الحرفين، فالصاد والسين في العربية فونيمان مختلفان، في حين أن هذاين الصوتين (الصاد والسين) يعتبران في الإنجليزية فونيمًا واحدا، اما الـــ(Phonetic) فهو مدخل لتحليل الوحدات الصوتية للكلام وليس اللغة، حيث ان تشكيل الحركات الصوتية يعتمد على اثر البيئة والأحبال الصوتية فهناك صوت طموح وآخر غير طموح وهناك الصوت الذي يعتمد على الأسنان وآخر يعتمد على الشفاه او لسان المزمار[٤].

المهم ان الفونيمك داخل الكلام، ومن هاتين الكلمتين جاءت اللاحقة (Emic/ Etic) بناءاً على ذلك فأذا كان مجال (Emic) هو اللغة فأن المرجع هو المعنى داخل هذه اللغة،

---

[٣]. جون بيار اوليفي دي ساردون، الداخلي، ترجمة الحبيب درويش، مجلة عُمران للعلوم الاجتماعية والانسانية، العدد١٩، المجلد الخامس،٢٠١٧، ص١٦٦–١٦٧.

[4].M. Harris, Cultural Materialism,OP.cit.p.34.

واذا كان مجال الـ(Etic) هو الكلام فأن المرجع هو سلطة التلقي، فالمدخل الايميكي يتوقف على المعنى الكامن في حقل حامل اللغة، اما المدخل الايتيكي فأنه يتوقف على المعنى الذي يتلقاه المحلل للكلام، ومن ثم فهناك مدخلان كما قلنا من قبل التحليل الايمكي الذي يضع كل الاعتبار للحقائق كما يفهمها المبحوث بشأن الظاهرة وفقاً لتطابق أمبريقي وأختبار هذا التطابق، اما التحليلي الايتيكي فأنه على العكس يضع كل الإعتبار للحقائق مضيفًا عليها معنى منطقيًا من جانب الباحث لذلك يمكن ترجمة المدخل الأول: منهج تطابق المعنى بالمعنى (Approach Emic) والمدخل الثاني: منهج تجاور المعنى والمعنى (Etics Approach) اي ان هناك معنى خاص بالباحث وآخر خاص بالمبحوث ففي الحالة الأولى يتطابقان وفي الثانية يتجاوران بحيث يكون المعنى الأول معنى علمياً والثاني مفهوماً علمياً.

لكن من اين جاء مارفن هاريس بهذه الثنائية ؟؟.

ترجع هذه الثنائية الى نظرية تحليل الوحدات النحوية الأساسية[٥]، لعالم اللغة الأمريكي (كينيث بايك K.L.Pike)[٦].

ولقد أستخدم هذين المصطلحين (Emic/ Etic) في سياق انثروبولوجي لغوي وذلك في تحليله للغة في علاقتها بنظرية موحدة حول بناء السلوك الإنساني.

اصبح التمييز بين مرجعية المبحوث، ومرجعية الباحث شائعًا في الانثروبولوجيا لحقبة من الزمن، إذ استخدم هذا التمييز (هاريس) في المقابلة بين شرح وعرض للنماذج التي تخص السكان الاصليون (المحليون) في فهم الواقع من ناحية، ووصف ومقارنة الأنساق الاجتماعية والثقافية طبقًا للمعيار الذي يحتكم اليه الملاحظ من ناحية اخرى، ومع ذلك تؤكد المادية الثقافية على مقولات النظرة الخارجية (Etic)لا الداخلية (Emic)، وينظر هاريس واتباعه الى السلوك الملاحظ (Observed) على اعتباره اوليًا، او سابقًا من الناحية المنطقية والتاريخية على الفئات الثقافية، وهكذا فإن المظاهر او الجوانب المعرفية والايديولوجية للثقافة لا بد وان تتخذ بالضرورة مكانة منزلية ثانوية وتالية للجوانب التكنولوجية، بمعنى ان الثقافة تتشكل بواسطة العوامل المادية[٧].

---

(5). Bernard. Cole ,Language dictionary, op. cit.p.62.

(6). K. L. pike,Language in Relation to a Unified Theory of the Structurer of Humman Behavior, 2nd.ed, The Hague, Moutton, New York, 1967.

[٧] . ايمان علي مصطفى الخولي، الايكولوجيا الثقافية، مصدر سابق، ص٧٩.

من وجهة نظر (مارفن هاريس) تقوم العمليات الايميكية في سمتها المميزة بعلو الإخباري المحلي الى مرتبة الحكم النهائي على كفاية وصف وتحليل الملاحظ (Observer) وبهذا يتعين على الملاحظ ان يحصل على معرفة يتعرف عليها ويفكر فيها ويمارسها كأنه محلي، اما العمليات الإيتكية فإنها تتميز بعلو الُملاحظ الى مرتبة الاحكام النهائية على المقولات والمفهومات، وتبدو كفاءة التحليل الإتيكي في قدرته على توليد بيانات يقبلها المحلي، ولذلك يكون حرًا في المدخل الإيتيكي في استخدام تصنيفات وقواعد لغة العلم، فهو ينخرط في قياس الأنشطة والاحداث التي قد يجدها الإخباري غير محددة او بلا معنى[٨].

ويستخلص (مارفن هاريس) من كل هذه الحيرة العقلية بإن مشكلة النظريات العلمية هي التشويش بين إدراك المُلاحظ (Observer) وإدراك الملاحظ (Observed) او ان تميل نحو مجرى العقل او مجرى السلوك او ان تتجه الى التحليل الإيميكي بدلًا من الإيتكي او العكس وهذا يولد عدم قدرة على فهم أسباب التشابهات والإختلافات في الظاهرة السوسيوثقافية، لكن المادية الثقافية تسعى الى الجمع بين المدخلين[٩].

وفيما يتعلق باشكالية الموضوعية فيجب ان نأخذ في إعتبارنا- والكلام لمارفن هاريس-انه اذا استخدمنا تفرقة بين (ذاتي- موضوعي) لأحدث ذلك تشويشًا هائلًا ولتحاشي هذا التشويش ينبغي استخدام مصطلحي (Etic-Emic) وهنا يرفض هاريس هذه الثنائية التقليدية (الذاتية والموضوعية)، صحيح انه يدافع عن فهم موضوعي في العلم، الإ انه يتحاشى تراثًا طويلًا من الإدانة التي وجهت الى الوضعية ويشدد مارفن هاريس على انه لا يجوز الخلط بين هذه الثنائيات، فلا يعني انك موضوعي ان تتبنى وجهة نظر إيتيكية، ولا كونك ذاتي يعني إنك تتبنى وجهة نظر إيميكية، بل يمكن للمرأ ان يكون موضوعيًا- سواء كان بصدد فهم الظواهر من منظور ايميكي او ايتيكي، وبالمثل فالذاتية تكون ايتيكية، والموضوعية في نظر مارفن هاريس هي مرتبة إبستمولوجية (معرفية) تميز مجتمع المُلاحظين (Observed)[١٠].

وفي نظر مارفن هاريس هناك مجالات في البحث المادي الثقافي:

---

(8).M. Harris, op . Cit, .p32.

(9). Ibid,.pp 33-34, 36.

(10). Ibid,.pp 34-35

1. Emic Behavioral

2 .Emic Mental

3. Etic Behavioral

4. Etic Mental

(Emic Mental) اي العمليات التي يكتسبها المبحوث ذهنيًا، بمعنى ان المبحوث كيف يرى الامور؟ (Etic Behavioral) السلوك الذي هو قائم بالبحث.

اما (Etic Mental) وهي ذهنية القائم بالبحث، بمعنى سلوك المبحوث وذهنيته–وسلوك الباحث وذهنيته، كما تعتمد هذه المجالات على طرح أسئلة لدى الاخباري او المبحوث في كل مجال من هذه المجالات وتقسم الى متقابلين:

اولاً: الوصف السلوكي الإيميكي–الوصف السلوكي الإيتيكي.

وهناك أمثلة كثيرة دالة على تطابق وجهة نظر الفاعل والملاحظ، ومقدار التعارض بين الروايات الإيميكية والإيتيكية في مجرى السلوك هو مقياس للتشويش الذي يعاني منه الناس[١١].

ثانيًا: الوصف العقلي الايميكي–الوصف العقلي الايتيكي.

وهنا يجب ان لا نقيس تفسيرًا على السلوك فقد يحدث تعارض بين ما يفكر فيه الناس وما يسلكونه، عموماً تبدو أهمية الثنائية التي يطرحها هاريس في انها احياء لمشكلة الذات والموضوع، ومشكلة التوفيق بين اهتمامات الملاحظ والموضوعية بوصفها أمور أخلاقية قديمة في النظرية الاجتماعية وهي التي جعلت الانثروبولوجيين يحاولون تطهير مناهجهم بصياغات جديدة ولا يمكن الإدعاء بأن ثنائية (Observed) تمثل حلاً للفصل بين الذات والموضوع المتفشي في مناهج الانثروبولوجيين وكل ما فعله مارفن هاريس انه ذهب بنا بعيداً من الشبهات التقليدية للأدانة النقدية [١٢].

---

(11) . Marvin Harris, Cultural Materialism .pp 40.

[١٢]. السعيد صابر المصري، الانثروبولوجيا النقدية والتحولات النظرية والمنهجية، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم الاجتماع،١٩٩٢، رسالة ماجستير غير منشورة، ص١٥٥.

ثانيًا: الأسس النظرية للمادية الثقافية

تتجه المادية الثقافية الى تعريف الظواهر الاجتماعية والثقافية بصيغة أولية ولكن دون الاقتصار على المنظور الإيتيكي وحده، والطبيعة الاجتماعية للجماعات الإنسانية ناشئة عن كثافة التفاعل بين الكائنات الإنسانية الموجودة في زمان ومكان محدد، وبذلك لا ترغب المادية الثقافية معرفة ما اذا كان أعضاء مجموعة سكانية محددة يفكرون في انفسهم على انهم شعب او جماعة وذلك لمطابقتها على أساس مفهوم الجماعة الاجتماعية، بل ان نقطة بدء التحليل السوسيوثقافي للماديين الثقافيين هي وجود مجموعة سكانية ايتكية قائمة في زمان ومكان إيتكيين*.

والمجتمع بالنسبة لنا هو جماعة اجتماعية مكونة من أنواع واعمار وتُبدي نطاقًا واسعاً من السلوك المتفاعل، اما الثقافة فهي ذخيرة من الأفكار المكتسبة، وحصيلة هائلة من الأفعال التي يظهرها أعضاء الجماعة وتنتقل بصورة مستقلة عن الوراثة من جيل الى جيل.

من ناحية أخرى تهتم المبادئ النظرية للمادية الثقافية بمسألة فهم العلاقات بين أجزاء الانساق السوسيوثقافية وتطور تلك الروابط والاجزاء والانساق، ولكن على ماذا تعتمد المادية الثقافية في اطارها التصوري ؟.

وبطبيعة الحال لدى مارفن هاريس جواب محدد على هذا التساؤل، حيث ركز على مجموعة من الأنماط العامة وتشتمل على نمط الإنتاج ونمط إعادة الإنتاج والاقتصاد المنزلي والاقتصاد السياسي والتنظيم السياسي وكافة اشكال البنية الفوقية السلوكية كالفن والموسيقى والشعائر والرياضة والعلم ثم البنية الفوقية العقلية والايميكية[١٣].

ويلاحظ ان مشروع مارفن هاريس ما هو إلا توليفة من الاتجاهات التي تتكرر في مواضع أخرى، وخلاصة لحصيلة الإبستمولوجيا الانثروبولوجية حتى السبعينيات، ولكنه يعتمد في كل ذلك على المنهج الانثروبولوجي التقليدي وأسلوب الملاحظة بالمشاركة والنزعة الامبريقية، وقد ترك نموذجه التصوري فضفاضًا ليمتلئ بكل شيء وفقًا لمبادئ المنهج العلمي الوضعي، ويتوقف نجاح هذا الإتجاه على ما يسفر عنه من نتائج على صعيد الاحتكام الى الواقع.

---

*. اي مكان وزمان يحدده الانثروبولوجي بمصطلحاته ومفاهيمه وهذا المكان والزمان له وجود حقيقي ايضًا.

[١٣] . السعيد صابر المصري، مصدر سابق، ص١٥٦.

ثالثًا: المادية الثقافية Cultural Materialism

صاغ الاستاذ مارفن هاريس (Marvin Harris) في النص الذي صدر(١٩٦٨) (إنبثاق النظرية الأنثروبولوجية) المادية الثقافية مضمنًا ثلاث مدارس في الفكر الأنثروبولوجي هي المادية الثقافية والتطور الثقافي والايكولوجيا الثقافية وهذا الإنبثاق بوصفه امتدادًا للمادية الماركسية، تفسر (المادية الثقافية) التشابهات والإختلافات الثقافية فضلًا عن نماذج التغير الثقافي ضمن الإطار المجتمعي المتضمن ثلاثة مستويات واضحة المعالم هي: الخوافض (البنية التحتية) والبناء والنواهض (البنية الفوقية).

كما تعزز المادية الثقافية الفكرة القائلة بإن الخوافض (infrastructure) تتألف من الوقائع المادية، وقطاع البناء (structure) الذي يتكون من الجوانب التنظيمية للثقافة مثل الانساق العائلية والقرابة والاقتصاد السياسي في حين تمثل النواهض(superstructure) القطاع الذي يتكون من الجوانب الايديولوجية والرمزية للمجتمع مثل الدين، يعتقد الماديين الثقافيين الى ان الجوانب التكنولوجية والاقتصادية تلعب دورا رئيسيًا في تشكيل المجتمع[١٤].

تهدف المادية الثقافية إلى فهم آثار العوامل التكنولوجية والاقتصادية والديموغرافية في قولبة البناء المجتمعي وقولبة النواهض من خلال أساليب علمية صارمة تسعى المادية الثقافية وفقًا لـ (Harris)إيجاد علم لعموم المجتمع البشري الذي يمكن أن تكون نتائجه مقبولة على أُسس منطقية وذات حجة ثابتة لعموم المجتمع المحلي، اي انها التجاوز على حساب المادية الماركسية.

لقد أقترح ماركس (في الاساس) ثلاثة مستويات للثقافة هي الخوافض والبناء والنواهض ولكن تخالف وجهات نظر المادية الثقافية النظرية الماركسية، اذ ان نظرتها لكل من قوى الانتاج (الاقتصادية) والسكانية (الديموغرافية) على انها العوامل الأساسية التي تشكل المجتمع لذلك توضح الملامح البنائية للمجتمع (قطاع البناء) من حيث الإنتاج في إطار النواهض فقط، على هذا النحو يتم استدعاء التغيرات الديموغرافية والبيئية والتكنولوجية من اجل شرح التنوع الثقافي وعلى النقيض من الماديين الثقافيين، ناقش الماركسيون بان الإنتاج هو الشرط المادي المستقر في الاساس او القاعدة الذي تعمل عليه ويتم البت فيه من قبل البنية التحتية وعلاوة على ذلك تشير النظرية الماركسية إلى أنه مادام الإنتاج هو الشرط المادي المستقر في قاعدة المجتمع فانه يتعهد بوجود علاقة تبادلية مع البناء المجتمعي، وكلاهما يعمل ويجري العمل بموجبها من قبل

---

(14). Barfield, Thomas. 1997. Cultural Materialism. In: The Dictionary of Anthropology. Oxford: Blackwell.

قطاع البنية التحتية، بينما تقترح المادية الثقافية بأن الإنتاج يكمن في البنية التحتية لان علاقة البنية التحتية - البناء احادي الإتجاه، وبالتالي، يرى الماديون الثقافيون هذه العلاقة (البنية التحتية - البناء) بوصفها على الاغلب في اتجاه واحد، في حين يرى الماركسيون العلاقة بوصفها المتبادلة[١٥].

والمادية الثقافية تشرح أوجه التشابه والاختلاف الثقافي وكذلك نماذج للتغيير الثقافي في إطار مجتمعي، كما تُعد استراتيجية البحث العلمي التي تعطي الأولوية للعمليات المادية والسلوكية والأخرى في شرح تطور النظم الاجتماعية الثقافية البشرية.

الإفتراضات

تعتمد المادية الثقافية على إفتراضين أساسيين حول المجتمعات **أولًا:** تترابط أجزاء المجتمع المختلفة، عندما يتغير جزء من المجتمع يجب أن تتغير الأجزاء الأخرى أيضًا، الافتراض **الثاني** للمادية الثقافية هو إن أساس النظام الاجتماعي والثقافي هو البيئة.

تتكون المادية الثقافية من ثلاثة مستويات متميزة: البنية التحتية والهيكل والبنية الفوقية.

١. البنية التحتية

تُعزز فكرة أن البنية التحتية التي تتكون من (حقائق مادية) مثل العوامل التكنولوجية والاقتصادية والتناسلية (الديموغرافية) تشكل وتؤثر في الجوانب الأخرى للثقافة، تتكون البنية التحتية من جزأين مهمين هما: (نمط الإنتاج وطريقة الاستنساخ).

أ- نمط الإنتاج

يتكون من السلوكيات التي تهدف إلى تلبية متطلبات الكفاف، والممارسات التكنولوجيا والاجتماعية التي تستخدم لرسم الطاقة والمواد الخام من البيئة وصياغة لهم للاستخدام البشري، كما يتكون نمط الانتاج من السلوكيات التي تهدف إلى تلبية متطلبات الكفاف، والتكنولوجيا والممارسات المستخدمة لتوسيع أو الحد من إنتاج الكفاف الأساسي، وخاصة إنتاج الغذاء وأشكال الطاقة الأخرى، تكنولوجيا الكفاف، العلاقات التكنولوجية البيئية مثال الصيد والتجمع، البستنة، الرعوية، الزراعية، صناعي)[١٦].

---

[15]. Harris, Marvin. 1968. The Rise of Anthropological Theory: A History of Theories of Culture. New York: Crowell.

[16]. Article. By Frank W. Elwell, Harris on the Universal Structure of Societies, 2007.

ب- طريقة التوالد (الاستنساخ)

تشير طريقة الى العوامل الديموغرافية للسكان البشري مثل حجم وكثافة السكان، ونموها وانخفاض أو استقرار، والعمر، وتكوين الجنس التي يكون مهمًا في تحديد كمية ونوع الموارد اللازمة من البيئة، وتشمل العوامل الديموغرافية أيضًا تقنيات تنظيم السكان أو تحديد النسل، وأنماط التزاوج، وسائل منع الحمل، والإجهاض، قتل الأطفال، والسلوك الجنسي، وغيرها من السلوكيات التي تهدف إلى السيطرة على الزيادات المدمرة أو النقصان في عدد السكان، بشكل عام وأنماط الإنتاج والتكاثر هي محاولات لإحداث توازن بين مستوى السكان واستهلاك الطاقة من بيئة محدودة، فمن هذا الأساس البيئي ان بالبنية التحتية تستند الى الأجزاء المتبقية من النظام الاجتماعي، ان طرق الإنتاج والتكاثر هي محاولات لتحقيق التوازن بين مستوى السكان واستهلاك الطاقة من بيئة محدودة.

٢. البناء(الهيكل)

يصف (هاريس) المكون الرئيسي الثاني للنظم الاجتماعية الثقافية بإن الهيكل يتكون هذا المكون من الأنماط المنظمة للحياة الاجتماعية التي يتم تنفيذها بين أفراد المجتمع، تتمثل إحدى وظائف البقاء الضرورية التي يجب على كل مجتمع القيام بها في الحفاظ على علاقات منظمة وآمنة بين الأفراد والجماعات والمجتمعات المجاورة ويؤكد هاريس أن تهديد الفوضى يأتي أساسًا من العملية الاقتصادية التي تخصص العمالة والمنتجات للأفراد والجماعات وهكذا هاريس يقسم هيكل النظم الاجتماعية والثقافية إلى قسمين (الاقتصاد السياسي و الاقتصاد المنزلي) .

يتكون (الاقتصاد السياسي) من مجموعات ومنظمات تؤدي وظائف تنظيم التبادل والاستهلاك والتكاثر بين وداخل المجموعات وغيرها من النظم الاجتماعية والثقافية يتكون هذا المكون من عناصر مثل المنظمات السياسية والعسكرية والشركات وتقسيم العمل والشرطة ومنظمات الخدمة والرفاهية، فضلاً عن المنظمات المهنية والعمال يمثل الاقتصاد المحلي تنظيم الاستنساخ والإنتاج والتبادل والاستهلاك داخل البيئات المحلية (مثل الأسر والمخيمات) يتكون

هذا الجزء من الهيكل من الأسرة، والتقسيم المحلي للعمل، وأدوار العمر والجنس، وشبكات الصداقة[١٧].

كما يتكون الاقتصاد المحلي او المنزلي لتنظيم الإنجاب والإنتاج الأساسية، وتبادل واستهلاك ضمن الإعدادات المحلية (مثل الأسر والمخيمات، والشقق) لتشمل:

- بنية الأسرة، وتقسيم المحلي من العمل والتعليم والعمر وجنس أدوار
- المجتمع، والانضباط الداخلي، الهرمية، والعقوبات.
- المنظمات الطوعية.
- شبكات الصداقة.
- بعض الجماعات الدينية[١٨].

٣. البنية الفوقية (النواهض)

يتكون قطاع (البنية الفوقية) من الجوانب الإيديولوجية والرمزية للمجتمع مثل الدين، ونظرًا لأهمية العمليات رمزية، هاريس يفترض أيضا وجود عالمي من البنية الفوقية، مرة أخرى هاريس يقسم هذا المكون إلى قسمين (السلوكية، والعقلية)، في حين يشير الهيكل إلى السلوك، وتشير البنية الفوقية للفكر العقلي، والتي تشمل المعتقدات (الإفتراضات المشتركة ما هو الصواب والخطأ) والقيم (مفاهيم محددة اجتماعيًا من قيمتها) والمعايير (معايير مشتركة أو القواعد المتعلقة بالسلوك، كذلك تشتمل البنية الفوقية العقلية على الطرق المنقوشة التي يفكر بها أفراد المجتمع ويصوِّرون ويقيمون سلوكهم، وتتضمن (البنية الفوقية السلوكية) أنشطة الاستجمام، والفن، والرياضة، والمعرفة التجريبية، والفنون الشعبية، وغيرها من المنتجات الجمالية بما في ذلك الفن، والموسيقى، والرقص، والأدب، والطقوس، والإعلان، والرياضة، والألعاب، الهوايات، وممارسة العلوم البنية الفوقية العقلية ينطوي على طرق منقوشة فيها أفراد المجتمع يعتقدون،

---

(17). Harris, Marvin. 1996. Cultural Materialism. In: David Levinson & Melvin Amber (Eds.), Encyclopedia of Cultural Anthropology. New York: Henry Holt and Co., pp. 277-281.

(18). Harris, Marvin. 1996. Cultural Materialism.p.p.283.

وضع تصور وتقييم سلوكهم ومن الأمثلة أيديولوجية دينية، والمنتجات من العلوم و (المعرفة) الفن (صور رمزية أو إقرارات وجود الجمالية والعاطفية، أو القيمة الفكرية) والطقوس، والرياضة، التجريبية، هاريس يفترض أن هذه الفئات العقلية في الواقع تعمل بالتوازي مع المكونات السلوكية العالمية للهياكل الاجتماعية، هناك النظم العقائدية التي تعمل على تبرير وتشجيع السلوك في كل عنصر من العناصر الثلاثة للمجتمع، ومع ذلك من أجل البساطة انه يعين لهم باسم (البنية العقلية) والذي يقصد به (الأهداف المعرفية الواعية وغير الواعية، وفئات والقواعد والخطط والقيم والفلسفات والمعتقدات حول السلوك أثارت من المشاركين أو الإستدلال بها المراقبين)[١٩].

جميع النظم الاجتماعية والثقافية، وفقًا لرؤى مارفن هاريس، لديها هذه المكونات الثلاثة الرئيسية: البنية التحتية، البناء (هيكل) والبنية الفوقية مبدأً رئيسيًا من الثقافة المادية، أو أسبقية البنية التحتية، تتعلق بالعلاقات بين هذه المكونات، تختلف المادية الثقافية أيضًا عن الماركسية في افتقارها إلى نظرية الطبقة بينما تشير الماركسية إلى ان تغير الثقافة معينًا فقط الطبقة المسيطرة، تخاطب المادية الثقافية علاقات القوة غير المتكافئة لان التسليم بالإبداعات او التغيرات يعود بالمنفعة على كل من الطبقات الأعلى والاوطئ على الرغم من حقيقة ان كلًا من المادية الثقافية والماركسية ذات نوايا تطورية وان تغير الثقافة الناتج من الإبداعات المقرة اجتماعيًا هو بسبب تنامي فوائد الإمكانيات الإنتاجية، اذ لا تصور المادية الثقافية الصورة الطوباوية النهائي كما صورتها الماركسية ويعتقد الماديون الثقافيون أن جميع المجتمعات تعمل على وفق النموذج الذي يهيمن على الإنتاج وإعادته، ويحتم المحدد للقطاعات الأخرى للثقافة، ويعملون على نحو فعال بإعتبارها القوى الدافعة وراء كل تنمية ثقافية ويخلصون الى ان جميع جوانب البنى الا- تحتية للمجتمع التي ابتدعت بهدف الإستفادة من قدرات المجتمع الإنتاجية والسكانية. ولذلك، تعد الأنساق مثل الحكومة والدين والقرابة والقانون...التي اخذت بعين الإعتبار لتكون البناءات الموجودة فقط أي أن يكون التشييد فقط موجود لغرض وحيد هو تشجيع الإنتاج واعادته الدعوة لإجراء البحوث التجريبية والأساليب العلمية الصارمة هو من أجل عقد مقارنات دقيقة بين ثقافات منفصلة، ويعتقد الماديون الثقافيون بإن المنظار الذي يفسر بفعالية كل من

---

(19). Harris, M. (1979), Cultural Materialism:The Struggle for a Science of Culture. New York: Random House.

التنوع المتداخل ثقافيا والتماثلات بين الثقافات ومثال ذلك التغيرات التكنولوجية والبيئية والديموغرافية المستحضرة لتفسير التنوع الثقافي[٢٠].

[20]. Harris, Marvin. 1999. Theories of culture in postmodern times. Walnut Creek, California: Delhi, AltaMira Press.p.p.224.

الخاتمة

ان التمييز بين الوقائع العقلية والوقائع السلوكية لا يضع حلاً لمشكلة الوقائع العقلية والسلوكية التي يجب ان يعتمد عليها الباحث الانثروبولوجي لوصف الثقافة ككل وصفاً دقيقاً، فالمشكلة هي انه يمكن النظر الى كل من الافكار التي هي في اذهان الافراد والسلوك الذي يمارسونه من منظورين مختلفين الا وهما الـ Etic–Emic ففي الحالة الاولى يستخدم الباحثون المفهومات والتمييزات التي لها معنى لدى الافراد، في حين يستخدمون في الحالة الثانية المفهومات والتمييزات التي لها معنى لدى الباحثينوالملائمة لهم، وقد أستخلص (مارفن هاريس) من كل هذه الحيرة العقلية بإن مشكلة النظريات العلمية هي التشويش بين إدراك المُلاحظ (Observer) وإدراك الملاحظ (Observed) او ان تميل نحو مجرى العقل او مجرى السلوك او ان تتجه الى التحليل الإيميكي بدلًا من الإيتكي او العكس وهذا يولد عدم قدرة على فهم أسباب التشابهات والإختلافات في الظاهرة السوسيوثقافية، لكن المادية الثقافية تسعى الى الجمع بين المدخلين، كما وقد شدد مارفن هاريس على انه لا يجوز الخلط بين هذه الثنائيات، فلا يعني انك موضوعي ان تتبنى وجهة نظر إيتيكية، ولا كونك ذاتي يعني إنك تتبنى وجهة نظر إيميكية، بل يمكن للمرأ ان يكون موضوعيًا– سواء كان بصدد فهم الظواهر من منظور ايميكي او ايتيكي، وبالمثل فالذاتية تكون ايتيكية، والموضوعية في نظر مارفن هاريس هي مرتبة إبستمولوجية (معرفية) تميز مجتمع المُلاحظين هذا من جانب، من جانب آخر فقد اشتغل البحث على فهم فهم آثار العوامل التكنولوجية والاقتصادية والديموغرافية في قولبة البناء المجتمعي وقولبة النواهض من خلال أساليب علمية صارمة تسعى المادية الثقافية وفقًا لـ(Harris) إيجاد علم لعموم المجتمع البشري الذي يمكن أن تكون نتائجه مقبولة على أُسس منطقية وذات حجة ثابتة لعموم المجتمع المحلي منتهياً بالأفتراضين الأساسيين حول المجتمعات **أولًا:** تترابط أجزاء المجتمع المختلفة، عندما يتغير جزء من المجتمع يجب أن تتغير الأجزاء الأخرى أيضًا، الافتراض **الثاني** للمادية الثقافية هو إن أساس النظام الاجتماعي والثقافي هو البيئة.

المصادر

١. ايمان علي مصطفى الخولي، الايكولوجية الثقافية-اسلوب منهجي، بحث في الانثروبولوجيا البيئية وتطبيقاتها، جامعة بني سويف، قسم علم الاجتماع،٢٠٠٧، رسالة ماجستير غير منشورة.

٢. جون بيار اوليفي دي ساردون، الداخلي، ترجمة الحبيب درويش، مجلة عُمران للعلوم الاجتماعية والانسانية، العدد١٩، المجلد الخامس،٢٠١٧.

٣. السعيد صابر المصري، الانثروبولوجيا النقدية والتحولات النظرية والمنهجية، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم الاجتماع،١٩٩٢، رسالة ماجستير غير منشورة.

المصادر الانكليزية

4. K. L. pike,Language in Relation to a Unified Theory of the Stru-cturer of Humman Behavior, 2nd.ed, The Hague, Moutton, New York, 1967.

5. Barfield, Thomas. 1997. Cultural Materialism. In: The Dictionary of Anthropology. Oxford: Blackwell.

6. Harris, Marvin. 1999. Theories of culture in postmodern times. Walnut Creek, California: Delhi, AltaMira Press.

7. Harris, M. (1979), Cultural Materialism:The Struggle for a Science of Culture. New York: Random House.

8. Harris, Marvin. 1968. The Rise of Anthropological Theory: A History of Theories of Culture. New York: Crowell.

9. Article. By Frank W. Elwell, Harris on the Universal Structure of Societies, 2007.